خطبة

فِقْهُ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ

خطب منبرية

الثَّالِثَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٤٨هـ - الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ نُوفَمْبَرَ ٢٠٢٦م ▪ فضيلة الشيخ احمد اسماعيل الفشني

الشيخ أحمد إسماعيل الفشني

عَنَاصِرُ الْخُطْبَةِ

الخطبة الأولى: فِقْهُ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ

١. أَوَّلًا: مَفْهُومُ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ وَمَنْزِلَتُهَا فِي الْإِسْلَامِ.
٢. ثَانِيًا: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ.
٣. ثَالِثًا: هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ.
٤. رَابِعًا: أَثَرُ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ فِي التَّكَافُلِ وَالتَّمَاسُكِ وَمُوَاجَهَةِ الْأَزَمَاتِ.
٥. خَامِسًا: الرَّسَائِلُ الَّتِي نُرِيدُ أَنْ نُوَصِّلَهَا.

الخطبة الثانية: والخطبة الثانيه "كَيْفَ نَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ؟"

١. والخطبة الثانيه "كَيْفَ نَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ؟"
٢. اولا: كَيْفَ نَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ؟

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ: مَا أَجْمَلَ أَنْ يَعِيشَ الْإِنْسَانُ بَيْنَ قَوْمٍ إِذَا ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَجَدَ مَنْ يَمُدُّ لَهُ يَدَ الْعَوْنِ دُونَ أَنْ يَسْأَلَ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ وَجَدَ مَنْ يَحْمِلُ عَنْهُ بَعْضَ ثِقَلِهَا بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ أَوْ لُقْمَةٍ أَوْ مَوْقِفٍ! وَمَا أَقْسَى أَنْ يَعِيشَ بَيْنَ نَاسٍ كُلٌّ مِنْهُمْ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ لَا يَرَى سِوَاهَا! وَمِنْ هُنَا جَاءَ الْإِسْلَامُ بِمَنْظُومَةٍ مِنَ الْقِيَمِ تَجْعَلُ الْمُجْتَمَعَ جَسَدًا وَاحِدًا، وَمِنْ أَجْمَلِ أَبْوَابِهَا: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ» الَّتِي وَصَفَهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

أَوَّلًا: مَفْهُومُ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ وَمَنْزِلَتُهَا فِي الْإِسْلَامِ

الْمَعْرُوفُ - عِبَادَ اللَّهِ - اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا عُرِفَ حُسْنُهُ شَرْعًا وَعَقْلًا مِنْ قَوْلٍ طَيِّبٍ وَفِعْلٍ نَافِعٍ، وَ«صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ» هِيَ الْمُبَادَرَاتُ الْحَسَنَةُ الَّتِي يَصْنَعُهَا الْمُسْلِمُ لِإِخْوَانِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ لَيْسَتْ مَالًا يُبْذَلُ وَحْدَهُ، بَلْ بَابٌ وَاسِعٌ يَدْخُلُ مِنْهُ كُلُّ أَحَدٍ، غَنِيًّا كَانَ أَوْ فَقِيرًا؛ فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. فَالِابْتِسَامَةُ مَعْرُوفٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ مَعْرُوفٌ، وَإِمَاطَةُ الْأَذَى مَعْرُوفٌ، وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ مَعْرُوفٌ.

وَقَدْ رَبَطَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَيْنَ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: 77]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: 2]، وَقَالَ: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60]. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلُهُ فِي أَثَرِ الْحَسَنَةِ: «إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ». وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ** لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَوْنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ مَقْرُونًا بِعَوْنِ الْعَبْدِ لِإِخْوَانِهِ، فَقَالَ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ حَوَائِجَكَ فَاقْضِ حَوَائِجَ النَّاسِ، فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

ثَانِيًا: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ

وَلْنَقِفْ - سَادَتِي الْكِرَامَ - مَعَ قِصَّةِ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ غَرِيبًا جَائِعًا خَائِفًا، فَرَأَى امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ غَنَمَهُمَا عَنِ الزِّحَامِ، فَلَمْ يَسْأَلْهُمَا عَنْ أَجْرٍ وَلَا مُقَابِلٍ، بَلْ قَالَ: مَا خَطْبُكُمَا؟ {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: 24]. وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ تَدْعُوهُ، فَكَانَ مَعْرُوفُهُ مُفْتَاحًا لِلْمَأْوَى وَالْعَمَلِ وَالزَّوَاجِ وَالْأَمَانِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ مَنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفَ وَهُوَ فِي أَشَدِّ حَاجَتِهِ، سَاقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ الْفَرَجَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَأَنَّ الْمَعْرُوفَ الْخَالِصَ لَا يَنْتَظِرُ مُقَابِلًا فَيُعَجِّلُ اللَّهُ لَهُ الْمُقَابِلَ.

وَمِنْ أَرْوَعِ الْقَصَصِ النَّبَوِيَّةِ فِي أَثَرِ الْمَعْرُوفِ فِي كَشْفِ الْكُرُبَاتِ: قِصَّةُ أَصْحَابِ الْغَارِ، فَعَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ»، فَدَعَا أَحَدُهُمْ بِبِرِّهِ بِوَالِدَيْهِ، وَالثَّانِي بِعِفَّتِهِ، وَالثَّالِثُ بِأَمَانَتِهِ فِي أَجْرِ الْأَجِيرِ وَتَثْمِيرِهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ رَصِيدٌ يُدَّخَرُ لِيَوْمِ الشِّدَّةِ، وَأَنَّ الْأَزَمَاتِ تَنْكَشِفُ بِبِرِّ سَابِقٍ وَمَعْرُوفِ مَاضٍ، فَمَنْ زَرَعَ الْمَعْرُوفَ فِي الرَّخَاءِ حَصَدَ الْفَرَجَ فِي الشِّدَّةِ.

وَمِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي رَسَمَتْ مِيزَانَ الْبَذْلِ: قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92]، وَلَمَّا نَزَلَتْ قَالَ سَيِّدُنَا أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ «بَيْرَحَاءُ» - وَكَانَتْ حَدِيقَةً مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ يَدْخُلُهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ - وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ» وَأَشَارَ

عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، فَجَعَلَهَا فِي أُبَيٍّ وَحَسَّانَ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الصَّحَابَةَ حِينَ سَمِعُوا الْآيَةَ بَادَرُوا إِلَى أَحَبِّ مَا يَمْلِكُونَ، لَا إِلَى فَضْلِ مَالِهِمْ، فَكَانُوا أَهْلَ الْبِرِّ حَقًّا.

وَمِنْ صُوَرِ الْمَعْرُوفِ فِي أَوْقَاتِ الْأَزَمَاتِ: مَا كَانَ مِنْ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سِنِي الْقَحْطِ، فَقَدْ وَفَدَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يَطْلُبُونَ الْقُوتَ، وَوَفَدَ إِخْوَتُهُ الَّذِينَ ظَلَمُوهُ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمُ الطَّعَامَ، بَلْ قَالَ لَهُمْ: {أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [يوسف: 59]، ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ وَقَالَ: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} [يوسف: 92]. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي الْأَزَمَاتِ يَشْمَلُ الْعَدْلَ فِي التَّوْزِيعِ وَالْوَفَاءَ فِي الْكَيْلِ، وَالْعَفْوَ عَمَّنْ أَسَاءَ، فَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ وَلَا يَزِيدُ الْجِرَاحَ.

ثَالِثًا: هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ

وَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبَ مَعْرُوفٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي غَارِ حِرَاءَ وَرَجَعَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، قَالَتْ لَهُ أُمُّنَا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا عَظِيمٌ: أَنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ كَانَتْ هِيَ الشَّاهِدَ الَّذِي اسْتَدَلَّتْ بِهِ خَدِيجَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَخْذُلَ نَبِيَّهُ، فَمَنْ عَاشَ لِلنَّاسِ رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ الْخِزْيَ فِي أَحْلَكِ اللَّحَظَاتِ، وَثَبَّتَ قَلْبَهُ فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ.

وَمِنَ الْمَوَاقِفِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي الْإِيثَارِ وَالتَّكَافُلِ: مَا رَوَاهُ سَيِّدُنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - وَهُوَ أَبُو طَلْحَةَ - فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: نَوِّمِي الصِّبْيَةَ وَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9]، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الْمُجْتَمَعَ الَّذِي يُؤْثِرُ أَفْرَادُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى فِي أَيَّامِ الْعُسْرَةِ، هُوَ مُجْتَمَعٌ لَا تَهْزِمُهُ الشَّدَائِدُ.

وَمِنْ صُوَرِ التَّكَافُلِ الَّتِي مَدَحَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا كَانَ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ

وَاحِد، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِد بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل الْمُشَارَكَةَ فِي الشِّدَّةِ نَسَبًا مَعْنَوِيًّا يَصِلُ الْمُؤْمِنَ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الْعِلَاجُ النَّبَوِيُّ لِلْأَزَمَاتِ: أَنْ نَتَقَاسَمَ الْقَلِيلَ بِالسَّوِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْثِرَ الْقَوِيُّ وَيَهْلِكَ الضَّعِيفُ.

وَهَذَا سَيِّدُنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمَسَاكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الْكَرَمَ الْحَقِيقِيَّ أَنْ تُعْطِيَ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ عِنْدَكَ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَأَنَّ الْمَعْرُوفَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى غِنًى بَلْ إِلَى قَلْبٍ كَبِيرٍ.

وَقَدْ بَلَغَ كَرَمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْلَغًا عَظِيمًا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا عَلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا أَعْطَاهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ! رَوَاهُ مُسْلِمٌ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَفْتَحُ الْقُلُوبَ قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَهَا الْحُجَجُ، وَأَنَّ الْكَرَمَ يَصْنَعُ مِنَ الْغُرَبَاءِ إِخْوَانًا.

رَابِعًا: أَثَرُ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ فِي التَّكَافُلِ وَالتَّمَاسُكِ وَمُوَاجَهَةِ الْأَزَمَاتِ

إِنَّ الْمُجْتَمَعَ الَّذِي تَفْشُو فِيهِ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ مُجْتَمَعٌ مَتِينُ الْبُنْيَانِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَدْ شَهِدَ التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ نَمَاذِجَ مُبْهِرَةً فِي مُوَاجَهَةِ الْأَزَمَاتِ بِالتَّكَافُلِ؛ فَفِي عَامِ الرَّمَادَةِ أَصَابَ الْقَحْطُ الْجَزِيرَةَ الْعَرَبِيَّةَ، فَامْتَنَعَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ السَّمْنِ وَاللَّحْمِ حَتَّى يَحْيَا النَّاسُ، وَكَتَبَ إِلَى وَالِيهِ عَلَى مِصْرَ سَيِّدُنَا عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَسْتَغِيثُهُ، فَيُرْوَى أَنَّهُ أَرْسَلَ قَافِلَةً مِنَ الْإِبِلِ مُحَمَّلَةً بِالْقَمْحِ وَالدَّقِيقِ أَوَّلُهَا بِالْمَدِينَةِ وَآخِرُهَا بِمِصْرَ، وَسُفُنًا مُحَمَّلَةً عَبْرَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا اتَّحَدَتْ فِي الْإِغَاثَةِ تَجَاوَزَتْ أَعْتَى الْأَزَمَاتِ، وَأَنَّ الْقَائِدَ الْعَادِلَ يَبْدَأُ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يُطَالِبَ النَّاسَ.

وَلَيْسَ الْمَعْرُوفُ لِلْبَشَرِ وَحْدَهُمْ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ

مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ رَحْمَتَكَ بِأَضْعَفِ الْمَخْلُوقَاتِ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِكَ، فَكَيْفَ بِرَحْمَتِكَ بِإِنْسَانٍ مُسْلِمٍ مُحْتَاجٍ؟!

وَمِنْ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ الَّتِي تُفَرِّجُ الْكُرُبَاتِ: الصَّبْرُ عَلَى الْمُعْسِرِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ التَّيْسِيرَ عَلَى الْمُعْسِرِينَ فِي أَوْقَاتِ الْأَزَمَاتِ الِاقْتِصَادِيَّةِ مِنْ أَعْظَمِ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَتَفْرِيجِ الْهُمُومِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَتَتَعَدَّدُ صُوَرُ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِنَا: مِنْ كَفَالَةِ الْيَتِيمِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ؛ إِلَى الْأَوْقَافِ وَالصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ؛ إِلَى الْمُبَادَرَاتِ الْأَهْلِيَّةِ وَمَوَائِدِ الرَّحْمَنِ وَحَمَلَاتِ الْإِغَاثَةِ وَرِعَايَةِ الْمَرْضَى وَكِبَارِ السِّنِّ وَدَعْمِ الْأُسَرِ الْأَوْلَى بِالرِّعَايَةِ، وَكُلُّهَا أَبْوَابٌ تَجْعَلُ الْمُجْتَمَعَ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ، فَلَا يَسْقُطُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يُتْرَكُ فِيهِ ضَعِيفٌ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْجَرَائِمُ وَالْأَحْقَادُ، وَيَنْعَمُ أَهْلُهُ بِالْأَمْنِ وَالْمَوَدَّةِ.

وَقَدْ سَطَّرَ الْأَنْصَارُ فِي الْمَدِينَةِ أَرْوَعَ صُوَرِ التَّكَافُلِ فِي الشِّدَّةِ، فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} [الحشر: 9]، وَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ اسْتِقْبَالَ الْمُحْتَاجِينَ وَالْمَنْكُوبِينَ بِصَدْرٍ رَحْبٍ وَقَلْبٍ لَا يَحْمِلُ حَسَدًا، هُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ مُجْتَمَعٍ يَصْمُدُ فِي وَجْهِ الْمِحَنِ وَيَتَحَوَّلُ فِيهِ الْوَافِدُ الْغَرِيبُ إِلَى أَخٍ شَرِيكٍ.

خَامِسًا: الرَّسَائِلُ الَّتِي نُرِيدُ أَنْ نُوَصِّلَهَا

١. صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ بَابٌ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ أَحَدٍ: فِي الْكَلِمَةِ، وَالْجَاهِ، وَالْمَالِ، وَالْجُهْدِ.

٢. الْمَعْرُوفُ رَصِيدٌ يَقِي صَاحِبَهُ مَصَارِعَ السُّوءِ وَيُفَرِّجُ عَنْهُ الْكُرُبَاتِ.

٣. التَّكَافُلُ وَالْإِيثَارُ هُمَا الْعِلَاجُ الْأَنْجَعُ لِلْأَزَمَاتِ، وَبِهِمَا يَتَمَاسَكُ الْمُجْتَمَعُ وَالْوَطَنُ.

٤. الْمَعْرُوفُ لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَعْرُوفِ وَصُنَّاعِ الْخَيْرِ، وَاجْعَلْنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَاكْشِفْ عَنَّا وَعَنْ بِلَادِنَا وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كُلَّ كَرْبٍ وَضِيقٍ وَغَلَاءٍ وَوَبَاءٍ، وَيَسِّرْ عَلَى الْمُعْسِرِينَ، وَفَرِّجْ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ.

فَبَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي جَعَلَ الْمَعْرُوفَ بَابًا إِلَى مَحَبَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا السَّادَةُ الْفُضَلَاءُ، فَلْنُكْمِلْ حَدِيثَنَا بِبَيَانِ كَيْفَ نَحَوِّلُ هَذِهِ الْمَعَانِيَ إِلَى سُلُوكٍ يَوْمِيٍّ.

كَيْفَ نَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ. فَانْظُرُوا كَيْفَ جَعَلَ قَضَاءَ حَاجَةِ أَخٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ شَهْرٍ كَامِلٍ مِنَ الِاعْتِكَافِ! فَلْنَعْمَلْ عَلَى أَنْ نَبْدَأَ كُلَّ يَوْمٍ بِسُؤَالٍ: مَاذَا صَنَعْتُ الْيَوْمَ لِغَيْرِي؟ وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمِنْ أَعْظَمِ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ: الْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ

إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء: 114]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. فَكَمْ مِنْ أُسْرَةٍ تَفَكَّكَتْ، وَكَمْ مِنْ أَخَوَيْنِ تَقَاطَعَا، وَكَمْ مِنْ جِيرَانٍ تَشَاحَنُوا، فَإِذَا قَامَ فِيهِمْ مُصْلِحٌ بِحِكْمَةٍ وَصَبْرٍ عَادَتِ الْمَوَدَّةُ، وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ صُوَرِ التَّمَاسُكِ الْمُجْتَمَعِيِّ.

وَيُرْوَى عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَحْلُبُ لِأَهْلِ الْحَيِّ أَغْنَامَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ، فَلَمَّا بُوِيعَ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ: الْآنَ لَا يَحْلُبُهَا لَنَا، فَسَمِعَهَا فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْلُبُهَا لَكُمْ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الْمَنَاصِبَ الْكُبْرَى لَا تُنْسِي صَاحِبَ الْفَضْلِ مَعْرُوفَهُ الصَّغِيرَ، وَأَنَّ الْمَعْرُوفَ خُلُقٌ ثَابِتٌ لَا يَتَبَدَّلُ بِتَبَدُّلِ الْمَرَاتِبِ.

وَلْنَتَنَافَسْ فِي الْخَيْرِ كَمَا تَنَافَسَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ، فَعَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الْمُنَافَسَةَ الْمَحْمُودَةَ هِيَ الْمُنَافَسَةُ فِي الْبَذْلِ وَالْمَعْرُوفِ، وَأَنَّ الْيَقِينَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَجْعَلُ الْعَبْدَ يَبْذُلُ مُطْمَئِنًّا أَنَّ رَبَّهُ لَنْ يُضَيِّعَ أَهْلَهُ.

وَلْنَذْكُرْ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، فَرَحْمَتُنَا بِخَلْقِ اللَّهِ هِيَ الْبَابُ إِلَى رَحْمَتِهِ بِنَا، وَمَنْ حُرِمَ الرَّحْمَةَ حُرِمَ الْخَيْرَ.

فَيَا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ: لَا تَسْتَصْغِرُوا مَعْرُوفًا، وَلَا تَنْتَظِرُوا شُكْرًا، وَاصْنَعُوا الْخَيْرَ فِي السِّرِّ كَمَا تَصْنَعُونَهُ فِي الْعَلَنِ، وَاخْتَارُوا لِصَنَائِعِكُمْ أَهْلَهَا مِنَ الْأَقْرَبِينَ وَالْجِيرَانِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَكْرُوبِينَ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} [الإنسان: 8-9]، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ إِذَا صُنِعَ فِي أَهْلِهِ رَجَعَ نَفْعُهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَإِنْ لَمْ يَشْكُرْهُ النَّاسُ شَكَرَهُ رَبُّ النَّاسِ، {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ} [البقرة: 197].

وَمِنْ آدَابِ الْمَعْرُوفِ: مُرَاعَاةُ الْجِيرَانِ، فَقَدْ قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَالدَّرْسُ

الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ الْمَعْرُوفَ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ الْعَظَمَةُ، فَإِنَّ طَبَقًا بَسِيطًا يُهْدَى لِلْجَارِ يَنْسِجُ مَوَدَّةً تَدُومُ سِنِينَ، وَيَجْعَلُ الْحَيَّ كُلَّهُ أُسْرَةً وَاحِدَةً.

وَيُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ مَا كَانَ خَالِصًا لَهُ فِي السِّرِّ، فَمِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَيُرْوَى عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ الطَّعَامَ عَلَى ظَهْرِهِ لَيْلًا فَيُوصِلُهُ إِلَى بُيُوتِ فُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوهُ، فَلَمَّا مَاتَ فَقَدُوا ذَلِكَ الْعَطَاءَ فَعَرَفُوا أَنَّ مُحْسِنَهُمْ كَانَ هُوَ. فَالدَّرْسُ الْإِيمَانِيُّ هُنَا: أَنَّ أَعْظَمَ الْمُحْسِنِينَ مَنْ كَانَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَرَى النَّاسُ إِحْسَانَهُ، فَيَحْفَظُ كَرَامَةَ الْمُحْتَاجِ وَيَضْمَنُ إِخْلَاصَ نِيَّتِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة: 271].

وَخِتَامًا: لِنَجْعَلْ مِنْ هَذِهِ الْجُمُعَةِ بِدَايَةً لِعَهْدٍ جَدِيدٍ مَعَ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ، فَلْيَزُرْ كُلٌّ مِنَّا مَرِيضًا أَوْ جَارًا مُنْقَطِعًا، وَلْيَصِلْ رَحِمًا قَاطَعَتْهُ، وَلْيُسَاهِمْ فِي مُبَادَرَةٍ أَهْلِيَّةٍ تُعِينُ الْأُسَرَ الْأَوْلَى بِالرِّعَايَةِ، وَلْيَبْتَسِمْ فِي وُجُوهِ إِخْوَانِهِ، وَلْيُرَبِّ أَبْنَاءَهُ عَلَى حُبِّ الْعَطَاءِ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي يَتَرَاحَمُ أَبْنَاؤُهَا لَا تَنْكَسِرُ أَمَامَ الْأَزَمَاتِ، وَإِنَّ الْوَطَنَ الَّذِي يَسْكُنُهُ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ لَا يَخْذُلُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبَدًا.

وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ؛ فَلْنَسْأَلِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ يُجْرِيَ الْخَيْرَ عَلَى أَيْدِينَا، وَأَنْ يَجْعَلَ مَعْرُوفَنَا خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَاجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا رَحْمَةً بِخَلْقِكَ، وَبَارِكْ فِي أَرْزَاقِنَا وَأَرْزَاقِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَاحْفَظْ بِلَادَنَا وَوَحِّدْ صُفُوفَنَا، وَارْزُقْنَا الْأَمْنَ وَالسَّكِينَةَ وَالتَّرَاحُمَ وَالتَّكَافُلَ، وَاجْعَلْ أَيَّامَنَا عَامِرَةً بِالْخَيْرِ وَصَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ. عِبَادَ اللَّهِ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]. فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ

كَتَبَهُ فضيلةُ الشيخ الدكتور/ أحمد إسماعيل الفشني، بالقاهرة، يومَ الثلاثاء 30 جمادى الأولى 1448هـ، الموافق 10 نوفمبر 2026م.

خطبة

تم بحمد الله

وبالله تعالى التوفيقُ والسدادُ والقبولُ. 🤲

للتواصل

الموقع الرسمي: ahmedelfashny.com

فيسبوك: facebook.com/share/1AcZYBDpD5

يوتيوب: youtube.com/@ahmedelfashny

نسخة معدة للنشر والطباعة

الشيخ أحمد إسماعيل الفشني